



من دلالات مناسك الحج

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

أيها الحاج إلى بيت الله الحرام ويا أيها المسلم في كل مكان إياك والظن أن شعيرة الحج مجرد أقوال وأفعال فلا تستشعر لها معنى ولا تعرف الهدف من ورائها، فإن كل عمل من أعمال الحج إضافة إلى أنه امتثال لأمر الله عز وجل فإن له دلالة وفيه دروس وعظات وعبر من أدركها عاد من رحلة الحج وقد تغيرت نظرته للحياة وفاز بخير الدنيا والآخرة، ومن هذه الدروس والدلالات ما يلي:

1. لو نظرنا إلى الإحرام وهو أول أعمال الحج حيث يتوجب على قاصد الحج عند وصوله إلى الميقات المكاني أن يخلع ملابس الدنيا ليرتدي ملابس الإحرام البيضاء التي لا مخيط فيها، وهنا نستشعر لحظة الخروج من الدنيا للقاء الله عز وجل نُجرد وقتها من ملابسنا لنصبح في لباس أبيض كذلك لا مخيط فيه لينتذكر قاصد الحاج أنه إلى مثل هذه الثياب البيضاء يوما من الأيام سيصير لا منصب معه ولا مال ولا جاه ولا سلطان فليتزود للرحلتين كما قال رب العالمين في ثنايا الحديث عن الحج: { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } (البقرة: 197).
2. وإذا ما انتقلنا إلى الطواف بالبيت الحرام ففيه تشبه بملائكة الرحمن الحاقين -الطائفين- حول العرش، فليضع الطائف أمام عينيه وهو يطوف أنه يفعل كما تفعل الملائكة، وليكن كما قال الله تعالى في شأنهم: { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (التحريم: 6)، وليجدد عهده مع الله عز وجل على طريق الحق والخير والفضيلة، وفي الطواف كذلك نستشعر أهمية الالتزام بمنهج الأنبياء الذين طافوا حول هذا البيت، وأن نعيش عليه ولا نحيد عنه أبداً، ويتضح ذلك في استلام الحجر الأسود أو الإشارة إليه في كل شوط وذلك ما عبر عنه أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى عنه زيد بن أسلم عن أبيه قال " رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَبَلَ الحجر وقال : لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك" (البخاري) فنحن على نفس طريقهم-الأنبياء- نسير وبأفعالهم نقتدي
3. وفي السعي بين الصفا والمروة يتعلم العبد اللجوء إلى الله عز وجل، والتردد على بابه مرة بعد مرة طلباً لعونه ونصرته، والاستعانة به، والتوكل عليه كما حدث للسيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل عليهما السلام وقد تركها زوجها خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام في أرض قاحلة لا زرع فيها ولا ماء ومعها رضيعها، وقد نفذ ما معها من الماء والطعام فأخذت تبحث عن النجاة لها ولرضيعها، فجعلت تصعد على جبل الصفا ثم تنزل حتى تصل إلى جبل المروة وكررت ذلك سبع مرات حتى أغاثها اللطيف الخبير ففجر لها ينبوعاً من الماء من تحت قدم رضيعها وهو ماء زمزم الذي لا يزال بركة في المكان إلى يومنا هذا، وهذا هو أصل السعي بين الصفا والمروة وصدق نبينا صلى الله عليه وسلم إذ يقول: " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً" (رواه أحمد).
4. وفي الوقوف بعرفة والجميع على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم في أرض واحدة في يوم واحد برداء واحد يرددون نداءً واحداً " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " هنا استشعار لوحدة الأمة وتجسيد لقول رب العالمين: { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } (الأنبياء: 92)، وأن الإسلام يضع الجميع على قدم المساواة لا فارق إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما في الموقف تشبيهه بيوم الحشر حيث يقف كل الخلائق في صعيد واحد ينتظرون الحساب وهم يرجون



رحمة الله ويخافون عذابه , وبالتلبية يسجل العبد على نفسه بهذه الكلمات العذبة أنه في مكان السمع والطاعة لأوامر الله تعالى وأنه وحده صاحب النعمة لا يُحمد ولا يُطاع ولا يُشكر أحد سواه لا شريك له.

5. ولو ذهبنا إلى رمي الجمار فإننا نستشعر معركة الإنسان مع الشيطان اللعين والتي بدأت منذ أمد بعيد في المأ الأعلى حين أمر الله تعالى ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا إلا إبليس اللعين أبى واستكبر وكان من الكافرين, وأقسم لرب العالمين بإغواء الخلق أجمعين, ولذلك تعرض لخليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام محاولاً صدّه عن تنفيذ أمر رب العالمين , فرماه الخليل بسبع حصيات عند جمرة العقبة الكبرى, ومرة أخرى عند الوسطى, ومرة ثالثة عند الصغرى فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ - دخل واختفى- في الأرض , ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض . قال ابن عباس : الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون " (رواه البيهقي) .

هذه بعض الدلالات التي اشتملت عليها مناسك الحج والتي إذا استشعرها العبد في نفسه يعود من تلك الرحلة المباركة وقد فتح صفحة جديدة مع الله عز وجل وصدق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " (رواه البخاري)

كتبه: الشيخ الدكتور/ عبد الحي عيد إبراهيم سرحان

مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى مدينة سان جوزيه – ساو باولو-البرازيل.